نـافـذة

السيد وزير الثقافة: دمشق ليست «المياه العائمة» فمن أجاز تلويثها مع الإصرار؟!

صميم الشريف واحد من المثقفين المهمين والرواد في أكثر من صعيد، رحل مكرماً لأنه استحق التكريم، وترك إرثاً غنياً في الأدب والموسيقا، صدرت له عن وزارة الثقافة / الهيئة السورية العامة للكتاب مؤخراً رواية «المياه العائمة»، وهي رواية تتناول حياة دمشق في الأربعينيات من القرن العشرين، وفي هذه الرواية ما فيها من إساءة، ولو كان المعروض حقيقة، فقد انغمس الروائي من أولى صفحات الرواية إلى خاتمتها في تصوير عالم الجسد المأجور، فتحولت دمشق التاريخ والحضارة إلى مجموعة من البغايا، ما من واحدة منهن ترفض امتهان الدعارة، وأخص الدعارة لا الحب!!
فماذا عن قصة الرواية؟!
بداية أنا لست مع الرقابة، وأتمنى أن تتحرر النصوص الأدبية والفنية من الرقابة الوصائية، لكن ما أقف عنده هو الجهة التي تصدر العمل، فمن حق أي دار نشر أو أي كاتب أن يكتب ما يحلو له ويموّله، ولكن عندما تقوم الدولة بإنشاء مؤسسات رديفة لها، فالغاية منها تقديم ما يرقى بالذوق العام، ويقربنا من الحب لا من الدعارة!
عندما قرأت الرواية تذكرتها، وحتى لا يظن أحد أن لدي دافعاً أخلاقياً أو وطنياً يزيد عمّا لديه أسرد حكاية الرواية، فقد كنت قارئاً في الهيئة، وقرأت الرواية مغفلة اسم الكاتب، وكتبت فيها تقريراً بأنها رواية مشوقة، وبأنها تتناول حقبة محددة، والبيئة فيها مدروسة بعناية، لكن المشكلة أن كل هذه الأهمية ضاعت في اللهاث وراء المتعة وبيع الجسد للدمشقيات في ذلك الوقت، ولا يجوز أن يطبع عمل يسيء إلى مدينة أي مدينة، وليس إلى دمشق وحدها، خاصة على مطابع وزارة الثقافة... وبعد أكثر من شهر على هذا الرأي، وأنا لا أعرف الكاتب، جلست مع مدير عام الهيئة السابق في جلسة كانت الرواية الغاية منها، وأعلمته أن الرواية مؤذية للمجتمع الدمشقي، فما بالك إن طبعت في الهيئة، وندّ عنه ما يشي بأن القراء الآخرين لهم الرأي نفسه ومانعوا في نشر الرواية.. استغربت سؤاله يومها: أما من طريق لنشرها؟ لقد عدّل ابن الكاتب.. وكأنه أوحى بأن جهة ما تطلب نشرها!! فأخبرته أن ذاك شأنه ويتحمل مسؤوليته، وكم من كتاب صودر لجملة أساءت لمجتمع أو مذهب أو طائفة أو جماعة، فكيف إذا كان العمل يسم المدينة التي يتغنى بها أبناؤها والأغراب؟!
أظهر الدكتور جهاد يومها اقتناعه، وقال: ماذا نفعل هناك إجماع على رفضها؟!
وصدرت الرواية أسرع مما كنت أتخيل، وبتعديل كلمات من ابن الروائي، وسؤالي اليوم: إذا كانت الهيئة لا تعتد بآراء جملة قرائها، وتنشر فلم تكلف نفسها وتتعب القراء في التقويم؟ وإن كان الكتاب يطبع بهاتف أو عبارة من دون اكتراث لآراء القراء فما الذي يقوم به هؤلاء بعملهم؟
والسؤال الأهم: أرجو من السيد وزير الثقافة، وهو أديب وشاعر أن يستدعي ملف الرواية كاملاً، لمراجعة آراء القراء الذين قوّموا الرواية، ولاستيضاح آلية طباعة الرواية، إن لم يكن له من دور في دفعها!!
بعد رفض ثلاثة قراء كما علمت من د. جهاد في تلك الجلسة كيف يتم دفع العمل إلى الطباعة وبسرعة فائقة؟ من المستفيد من ذلك؟ كيف يصادر كتاب لعبارة مؤذية ويعاقب من قاموا بطباعته مع أن القارئ أجازه، ولا يسأل عن كتاب يحوّل دمشق إلى بيت بغاء وماخور، ويحوّل دمشق إلى عاهرة لمن يدفع؟
المطلوب من السيد الوزير أن يحقق بنفسه في الأمر لاستجلاء حقيقة الطبع مع وجود التقارير التي ترفض، ليعزل ذاته عن الأمر على أقل تقدير.
للمرة التي لا أعرف رقمها يحدث هذا الأمر في وزارة الثقافة السورية، فكتاب يشتم سورية «سورية في كتابات مستشرقين روس» وقد كتبت عنه وتمت مصادرته ولكن بعد أن طبع على نفقتنا وهو يشتمنا، ولم يكترث المعنيون يومها حتى وصل الأمر إلى الجهات الحريصة على سورية وإحساس أبنائها... وكتاب يطبع من عمق التاريخ ليسيء إلى سورية ويصادر كذلك، وكتاب يختار من التراث وهو آخر كتاب أحدث مشكلة، لأنه أساء إلى شريحة كريمة من السوريين، وتمت مصادرته، وأعفي من أعفي بسببه، ألم نجد في تاريخنا سوى الإساءات لنشرها؟!
قلت الاعتراض الوحيد على هذه المطبوعات أنها تطبع على نفقة الوزارة، أي على نفقة السوري، ويتقاضى مؤلفها مكافأة، ويستفيد المروج لها..!
بإمكان المؤلف أو المحقق أن يختار المنبر الذي يشاء، ولكن ليس في وزارة الثقافة أو اتحاد الكتاب العرب.
أفهم أن يكون أحدهم جريئاً، لكن بذاته ولذاته!
أفهم أن يرفض أكثر من كاتب قارئ نصاً بسبب مستوى فني، ومع ذلك يصبح هذا الكتاب متداولاً بين الناس، ويضرب بالرأي الناقد عرض الحائط.
لكن الذي لا أرغب أن أفهمه هذه الإساءات بالجملة، وعلى نفقة السوريين، وعلى مطابع وزارة الثقافة، حتى لتكاد رزمة الكتب التي تصلنا من الهيئة لا تحوي كتاباً يتحدث عن الحب أو يدعو للحب!!
الرواية كما عرفت بعد صدورها للراحل صميم الشريف، وهب أنها كانت له أو لي أو لك محبوبة بدوي الجبل وشوقي ونزار قباني وسعيد عقل ومحبوبتك ومحبوبتنا جميعاً من أجاز تشويهها مع وجود الحالات الفردية؟ من سمح لنفسه إجازة تعهير مدينة بحجم دمشق وتاريخها وكثرة عشاقها؟ هل تتحول الوزارة إلى ناشر رديء ينشر ما يروق وما يسوّق؟
الأمر بعهدتك، ونرحب بالرأي لإطلاع القارئ بما وصلتم إليه، فالإساءة لدمشق تصبح الإساءة إلى الأنبياء والآلهة، ولأنني لا أريد الإساءة إليها لم أستخرج أمثلة.
أضع هذه القصة بين يديك راجياً تحديد من أساء إلى دمشق عمداً مع سابق الإصرار، دمشق المدينة التي يعجز الكون عن تلويث نقائها.
هل يحدث أم أن دمشق مثل حمزة بن عبد المطلب «لا بواكي لها»؟!.

إسماعيل مروة

للممثل دور في تهذيب الطفل المتلقي وتعليمه

ميسون أبو أسعد لـ«الوطن»: تستهويني سِيَرُ الملكات في التمثيل والنص الكوميدي المتماسك

عامر فؤاد عامر

كان المسرح ركيزة قوية في انطلاقتها الفنية، وبقي علامة فارقة في تجربتها، وخاضت أعماله تجارب محلية، وتقليدية، وأخرى خارج البلد ذات طابع تجريبي، ومعاصر، ومن هذه المسرحيات نذكر «السقوط» عام ٢٠١١ مع الفنانين «دريد لحام» و«عمر حجو»، و«هجرة أنتيجون» ٢٠٠٥ من إخراج وتأليف الفنان «جهاد سعد»، و«the guardian angel – الملاك الحارس» للمخرج «Nullo Faccini» عام ٢٠٠٧، وعرض الأطفال «مومو» عام ٢٠٠٤ للمخرجة «نورا مراد»، وغيرها، أما في الدراما التلفزيونية فلها العديد من الأدوار، ونذكر منها مسلسلات: «طالع الفضة»، و«العبور»، و«سقوط الخلافة»، ومؤخراً «باب الحارة٦-٧»، و«بقعة ضوء١١»، و«حرائر»، و«مذنبون أبرياء». ومن المشاركات السينمائية أيضاً «سوريون» للمخرج باسل الخطيب، و«دمشق مع حبي» لـ«محمد عبد العزيز»، و«مطر أيلول» لـ«جود سعيد»، و«أنسرماشين» للمخرج «عامر حاج أحمد» وغيرها. الفنانة «ميسون أبو أسعد» خريجة المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق، وتؤكد: «ضرورة تواصل الممثل مع جسده بالرياضة المستمرة كي يكون جاهزاً لأداء أي دور يقدمه، وصقل الشخصية يأتي بطرق متعددة؛ كممارسة اليوغا، أو الرقص، وغير ذلك من التجارب»، وفي حوار «الوطن» معها، المزيد من المواضيع التي أجابت عنها كمسؤوليتها الفنية، وخياراتها أمام الشخصية المتاحة، وعن الفرصة السينمائية في سورية، والمزيد من المواضيع.

مسؤولية

يؤثر الفنان في مجتمعه بصورة واضحة، ويقول بعض النقاد إن لغة الفن مؤثرة أكثر من لغة أهل السياسة، وفي السؤال عن حجم هذه المسؤولية لدى شخصية الفنانة «ميسون أبو أسعد» ومدى تأثيرها تجيب: «هي مسؤولية حقيقية تقع على عاتقي كفنانة دون المقدرة على التهرب منها أو تجاهلها، وهي في ازدياد مادامت وسائل الإعلام تأخذ طريقها في التطور والحضور الكبير في حياتنا، وفي الظروف الراهنة من الممكن أن يلعب التلفزيون دوره في التعليم وتهذيب الأطفال الذين ابتعدوا عن لغة المدرسة والتعليم، فالمسؤولية إذاً تزداد أكثر علي وعلى الفنانين كافة، وبإمكاني أن أتحكم فقط في دراسة الخيارات المتاحة لي والمؤثرة، وهذا قد يجعل من لغة الفنان قادرة على الوصول بقوة أكبر للمجتمع الذي ينتمي إليه، إضافة للتدقيق في أناقة الصورة، والنظر لتفاصيل الجمال التي لا يمكن إهمالها».

معايير الاختيار

استطراداً للفكرة الأخيرة تابعنا الحوار حول كيفية اختيار الفنانة «ميسون أبو أسعد» للدور الذي يقدمها بصورة صحيحة، ومؤثرة، وبالطريقة التي ترضى فيها عن نفسها؛ فتضيف: «منذ التخرج وإلى اليوم، بات عدد الأعمال التي رفضت المشاركة فيها أكبر بكثير من عدد الأعمال التي شاركت فيها، والمعيار لدي هو جدة الدور فلا أحب التكرار، وخاصة أنني قطعت شوطاً في العلاقة مع المتلقي، وبالتالي أصبح من المسموح لي بأن أنحو باتجاه الغرابة أكثر، أو في أدوار لم يعتد الناس ظهوري فيها، وهذا الكلام أيضاً يمس الصورة الخارجية للشخصية، على الرغم من أننا كممثلين رهينة للكاتب والمخرج في لحظات كثيرة، ولكن في حال تم عرض عدة شخصيات علي فلا بد لي من استخدام تلك المعايير التي ذَكرتها، واليوم جسدت شخصية «سراب» في خماسية من سلسلة «مذنبون أبرياء» التي يمكن وصفها بتاجرة مخدرات».

جديد ٢٠١٦

متابعةً للمشاركات الجديدة والشخصيات التي أنجزتها الفنانة «ميسون أبو أسعد» مؤخراً تقول: «انتهيت من تصوير دور في ثلاثية مع المخرج «صفوان نعمو»، وهناك نص جديد في طور القراءة».

المسرح ثقة بالنفس

يتلقى الممثل في المعهد العالي للفنون المسرحية أصول تربية الممثل على خشبة المسرح، ولكن في نهاية المطاف يأتي كل ذلك لمصلحة التلفزيون فهو سيد الموقف لدينا، وحول هذه الفكرة تتحدث الفنانة ميسون أبو أسعد: «اشتاق كثيراً للمسرح، فقد منحني ثقة بالنفس أكثر، وأنا لست ممن هجروا المسرح كلياً، فآخر عمل قدمته كان في العام ٢٠١١ مع الأستاذ «دريد لحام» في مسرحية «السقوط»، وكان من المقرر أن ندور في هذه المسرحية القارات الخمس، ولاسيما أنه مسرح الكبير «دريد لحام»، لكن مع الآسف جاءتنا الظروف، وحرمت التجربة من فرصة انتشارها».
يُذكر أن «أبو أسعد» أيضاً شاركت في افتتاح عرض مسرحي لـ«بيت الحكمة» في أواخر العام ٢٠١٠ من إخراج الفنان «جهاد سعد» وبمشاركة فرقة «إنانا» للمسرح الراقص التي يديرها الفنان «جهاد مفلح». كما كان لديها كثير من المشاركات المسرحية السابقة، وبالعودة إليها وللعروض القديمة التي تعد لغة أساسية في الطريق الفني ضمن التجربة؛ عدنا بالذاكرة معاً لبعض التجارب التي شاركت فيها، والتي خاطبت الجمهور مكانياً وزمانياً بلغةٍ تحمل نوعاً من الاختلاف والتنوع، فتكمل: شاركت في عرض «عشاء عيد ميلاد طويل» للمخرج «سامر عمران»، وفي عرض «الرهان» للمخرجة «نائلة الأطرش»، واشتغلت عدة تجارب مع فرقة «ليش المسرحية» بإدارة الفنانة «نورا مراد»، والتي تمحورت حول الحركة المسرحية، مع نص شعري، أو درامي، ومع حركات الجسد، وعملت في مسرحية «هجرة أنتيجون» وهي من المسرح التراجيدي اليوناني، من إخراج الفنان «جهاد سعد»، وقدمناه في بلدان كثيرة منها باكستان وإسبانيا، وشاركت في عرض «الأشباح» لـ«هنريك إيبسن» من إخراج «جهاد سعد» أيضاً، وعرض للأطفال «مومو» مع «نورا مراد»، وهو من المسرح التجريبي، الذي عرضناه في مدارس «الأونروا» وقد كان في مدة ربع الساعة فقط، لكنه يحمل تفاعلاً قوياً مع الأطفال، وهو تجربة مهمة جداً لي، وكان في ٩٠ عرضاً موزعاً على مدى عامين، وأشكر الفنانة «نورا مراد» على هذه التجربة، التي قدمناها في دمشق و«ريف حلب»، ومن المشاركات المسرحية أيضاً عرضان في الدانمارك باللغة الإنجليزية «متاهة فينوس»، و«الملاك الحارس».

في لغة التطوير

العناية والاهتمام باللغة واحدة من الأشياء التي تميزت فيها الفنانة «ميسون أبو أسعد» وعن هذه التجربة تقول لنا وتتابع: «اهتم باللغة كثيراً، وهذا ما اكتسبته من طابع موجود في عائلتي مسبقاً، وشخصياً منذ كنت في المدرسة حتى في أيام الدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحية اهتممت بحصة اللغة كثيراً، ولاحقاً تبين لي أن ذلك مفيد جداً، لاسيما لدى العرض المسرحي الذي قدمته في الدانمارك، وبعدها درست اللغة الفرنسية وكانت تجربة أصررت على إتمامها حتى في أيام التصوير والانهماك في العمل، ودارت الأيام ليأتيني دور في مسلسل «باب الحارة» أديت دوراً فيه باللغة الفرنسية، وبعد هذه اللغة انتقلت لتعلم الإسبانية، وشجعني على ذلك التدريب على رقصة الفلامنكو، ولكن توقف للأسف مع بداية العام ٢٠١١» بسبب الظروف التي أصابت البلد».

نضوج وتحد

«سُلط الضوء على الفنانة «ميسون أبو أسعد» في السنتين الأخيرتين، فهل بدأت لغة التواصل مع المتلقي تأخذ طريقها للنضوج؟» هذه ملاحظتنا التي قدمناها، وحول ذلك تعلق أبو أسعد: «أنا مع هذه النظرة، ولا يزعجني ذلك أبداً، والممثل عليه أن يتطور في عمله، وأن يكون ذلك بين كل دور وآخر، ولغة الابتكار تبنى على الانتشار والمعرفة التي صنعتها مع الناس في سنوات سابقة، وكلما قطعنا سنة لا بد من ازدياد الخبرة، وهذا الشيء مطلوب وضروري». وعن الأدوار التي جسدتها في مسلسلات موسم ٢٠١٥ تضيف: «صُعقت بتأثر الجمهور بموت «ناديا» في مسلسل «باب الحارة» الجزء السابع، وفوجئت بالبعض الذين تأثروا بطريقة كلامها، وبتفاصيل كثيرة أشتغلتها في هذه الشخصية، وهذا الدور عموماً رسخ حضوري عربياً، أما سلسلة «بقعة ضوء ١١» فكانت تجربة مميزة حملت لي لغة استمتاع لأقصى ما يمكن في التمثيل، فمجموع اللوحات ٨ ولكن في كل لوحة شيء مبتكر وجديد في الشخصيات ولا تشبه بعضها بعضاً أبداً، وهذا المسلسل فيه لغة بحث، وسعي، وعمل جاد، وفيه ذكرى بالعودة لأيام الدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق، وكان لي دور أحببته أيضاً في مسلسل «حرائر» وأنا من اختار الشخصية، التي تدور حول حلم الفتاة في حياة القصور، ثم تلقى الصدمة منه بعد رؤية حياة الحرملك في اسطنبول والقسوة في هذه الحياة، ثم الهروب من جديد، وأيضاً شخصية «تولين» في مسلسل «شهر زمان» الذي يعد من أوائل الأعمال التي صورت العنف في البلد بسبب الأزمة، وعموماً الشخصية فيها الكثير من الأكشن».

البيئة والمنشأ

تؤثر البيئة في الفنان فترفع من غناه أو تسبب له انطلاقة مختلفة عن القاعدة التي نشأ منها أو تبعده نحو طريق جديد آخر، وحول البيئة والمنشأ كانت هذه المقتطفات التي ذكرتها الفنانة «ميسون أبو أسعد»: «اعتقد أن المؤثر المباشر في شخصيتي هو البيت والتربية التي تلقيتها، فالمكان الذي عشت فيه لا يجنح قاطنوه نحو الفن والحياة الفنية، بل الأغلبية العظمى من العائلات التي عاشت في المحيط كانت تفكر في تعليم أبنائها في مجالات أخرى كالطب والهندسة وغيرها من العلوم، وأول من اتجه نحو الفن في أسرتي كانت أختي الفنانة «لورا أبو أسعد» نحو المسرح الجامعي، ومن دون علم الأهل، وقد أحببت هذا العالم المختلف عن الأجواء التي اعتدناها، فمن عالم الكتاب إلى عالم يشبه دواخلي وقريب مني أكثر، لذلك صممت على دراسة المسرح منذ أيام الدراسة الإعدادية، فبحثت، وقرأت في المسرح، وشاهدت عدة مسرحيات قبل الدخول للمعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق».

ميول

حول الشخصية التي تفضل تأديتها والمجال الذي تنحو لتجربته أكثر في مجال التمثيل تقول الفنانة ميسون أبو أسعد: «تستهويني سير الملكات مثل «زنوبيا»، و«كيلو باترا»، و«جوليا دومنا»، وهي عموماً من الأدوار المغرية لأي ممثلة، أما الشخصيات التي أطمح لها فهي الشخصيات التي تشكل نصاً كوميدياً متماسكاً، وعموماً الأمر مرهون بمستوى الشخصيات التي تُعرض علي في الموسم الواحد، واعتقد أن فكرة وجود مشروع مشترك لبناء نص متماسك مع عدة أشخاص سينتج عنه حصيلة قوية تحقق ما أرغب فيه، وهذا سيحتاج الوقت والجهد وأتمنى القيام بتجربة كهذه».

السينما غصة

في الحديث عن الإنتاج السينمائي المحدود، وقلة الفرصة في الإنتاج، والهم السينمائي في سورية، تضيف: « السينما هي غصتنا الكبرى كممثلين، على الرغم من جهد المؤسسة العامة للسينما المبذول، واستقطابها لمخرجين جدد، وإنتاجها لأفلام مميزة، ولكن تبقى حالة الصالة، والجمهور مقتولة لدينا، فالجمهور السوري محروم من هذه الحالة، وعن تجربتي الخاصة اعترف بأن متعة العمل في الفيلم السينمائي موجودة، فلدي تجربتي في فيلم «مريم» للمخرج «باسل الخطيب» الذي عُرض في دمشق وخارجها، وفي قرى ومراكز قريبة من الناس، واستمتعت الناس به، على الرغم من المفاصل الكثيرة التي تحتاج لقراءة، لكن الجمهور تفاعل معها وأحبها، وهذا ما أحببته أكثر، وأيضاً لي دور في الفيلم الجديد للمخرج «باسل الخطيب» وهو «سوريون»، ومن التجارب السينمائية أيضاً أذكر الفيلم القصير «خبرني يا طير» للمخرج «سوار زركلي»، والفيلم الألماني القصير «اليوم غداً» الذي صورته في برلين، وفيلم «تأرجح» من إخراج «هوزان عكو» وهناك عدد من الأفلام القصيرة الأخرى، لكن ما أتمناه هو ولادة مشاركة للقطاع الخاص في الإنتاج السينمائي، وفي العرض، وفي التسويق فهذا أمر مهم جداً، فالتكاتف بين القطاع الخاص والعام ضروري جداً».

> أنا تاجرة مخدرات في «مذنبون أبرياء»
>
> السينما غصة كبيرة للممثل السوري
>
> صُعقت بتأثر الجمهور بموت «ناديا» في «باب الحارة»

من مسلسل «مذنبون أبرياء» مع عامر علي

من فضائل الأزمة!

غسان كامل ونّوس

من فضائل الأزمة، التي لا تكاد تخلو منها، مهما كانت كارثيّة ممتدّة معقّدة، أنها تُخرج باطن الكائن إلى ظاهره؛ فيغدو مكشوفاً مشرَعاً، بقصد أو من دونه، وبوعي أو بلا وعي؛ فلا يكاد يخجل المرء بعقوقه، أو بنكرانه، أو بعورته؛ إن لم يفاخرْ بها، ويغترّ، أو يفترّ لها، ويباهي بها أصحاب العورات الأخرى؛ هذا إذا كانت ما تزال تعدّ عورة!
كما أنّك لا تعود مضطرّاً للمجاملة أو التلفيق، أو النفاق؛ فليكن كرهك بيّناً، وتقويمك للآخر معلَناً. ولتُخرِجْ ما جمعت عنه من معلومات، بحكم تقرّبك المديد منه، وعلاقتك الوطيدة به، ولتشهرْها في وجهه، عسى أن تستطيع مواجهة ما كان جمّع هو الآخر، وراكم من نقائص لك وفيك، يلقيها في وجهك، أو أمام آخرين.
وعلى الرغم من قبح المواجهة، وبشاعة الأدوات، وفجاجة المواقف، والمشاهد، فإن الجهد المبذول في هذا الميدان أقلّ من جهد، كان يضاعَف من أجل تزيين المفاسد، وتجميل المنكَرات، وتغطية التشوّهات، وتدوير الزوايا، وتقويم الاعوجاجات التي كانت، مع كلّ ذلك، لا تكاد تخفى، إلا على الغافلين الجاهلين السذّج. وتبقى لديك- في كلّ وقت- متعة الرضا عن النفس في قول ما ترى، والبوح بما تعرف، وإشهار ما تخفّي؛ هذا إذا كنت صادقاً مع نفسك، مدافعاً عنها بالحقّ، من دون ادّعاء وافتراء وتضليل؛ حتّى لو قام آخرون بذلك، وحتّى لو خسرت الرهان، وهزمت في جولة أو أكثر، وتراجعت عن مفصل أو أكثر؛ حتّى لو أن الآخر يستخدم ذكاءه وإمكانيّاته وهشاشة ما لديك، وضحالة ما لدى عناصره أو «أدواته» من وعي وحسّ في تضخيم عيوبك، والمبالغة في أخطائك، وإلصاق بك ما لا يليق من الصفات، وما لا يصحّ من المقولات، وما لا يجوز في أي عرف، أو قانون؛ فالمواجهة لا تسوّغ الضلالات، وإن كانت تستوعب، ولا تبرّئ، وإن كانت تتفهّمها، ولا تستثني الجرائمَ من الحساب، وإن كانت تنتظرها، أو تتوقّعها. وأن تفقد ممّا لديك من ممتلكات، ومن تابعيّات، ومحسوبيّات أمر ممكن، أو محتسب، وأن تضطرّ لخطوة أو أكثر نحو اليمين أو اليسار، أو الخلف؛ مناورةً أو مداراة، أو تجنّباً لما هو أسوأ، واستعداداً وتحضيراً وتزوّداً بما قد يفيد لاحقاً... مسألة تحدث، أو ليست مفاجأة كبيرة.
أمّا أن تخسر خصالك، في سبيل ملّك؛ فهي خسارة، حتّى لو كان فيها خلاص آنيّ، أو بقاء بارتهان، وخسارة مضاعفة، إن لم تُجدْ؛ وكثيراً ما لا تجدي!.
أمّا أن تريق ماء وجهك، وتبذل دموعك أو دماءك بخسّة وجبن؛ فتلك الطامّة الكبرى، التي لا فائدة من البقاء بعدها، ولا جدوى من التغنّي بالأمجاد الماضية، ولا ينفع الأجداد ولا الأحفاد، ولا الأولاد!
كلّ شيء في الحرب متوقّع، أو متاح؛ لكنّه ليس مباحاً، ولا مسوّغاً، مهما زُيّن، وعُمّم، وسُوّق... ويبقى المرذول مرذولاً، حتّى في أقسى الظروف، وأشدّ الأزمات!! ولا يتوقّف ذلك على الجبهات التي تشتدّ فيها المعارك؛ بل في المواقع الأخرى، التي تعدّ تغذية أو رديفاً أو خزّاناً لمن يواجه المعتدين بسلاحه مباشرة.
من فضائل الأزمات أنها تقلّل من حدّة الخوف، وتبهت الكثير من الحدود التي كان يحسب حسابها في محاولة التعبير والتفسير والتغيير؛ فيمكن الإقدام أسرع وأبعد، والتقاوي على المواجع، والتعالي على الجراح، والتشجّع على المغامرة والمبادرة بأقلّ وقت وقدر واحتساب..
ومن فضائل الأزمات، أنها تجعل المضطرّ يبحث عن حلول للأزمات، وأساليب للتكيّف مع أحوال طارئة، وظروف غير معتادة، وتجعل الناس يفتّشون عمّا يمكن أن يعوّض عن افتقاد وقصور وغياب، والتعوّد على مزيد من التفهّم والتصبّر والتأسّي.
ومن فضائلها أنها تُكاثف استثمارات الخلاص والأمان، وتضاعف الاهتمام بالموائل والمكامن، وتزيد في قواعد التحصين وعناصر التقوية، وتفتّح منافذ الوعي، وتقوّي الشعور بالمسؤوليّة.
من فضائل الأزمات أنها تعرّي عرّابيها، وفجّارها، وتجّارها، وتُنشر روائح الفاسدين، وتكشف عن زيف أصولهم، وتفضح عفونة الطفيليّين، وطويّة الحاقدين، وعجز المدّعين، وكيد الغادرين... لكنّها أيضاً وعلى الرغم من- بل لعلّه بسبب- أوقاتها الغاصّة، وآفاقها المعكّرة، وفسحاتها الضيّقة، تنصف أصحاب الذمم، الذين لا يساومون عليها، وتضيء جباه أصحاب الكرامات، الذين لا يهينونها، وتسمو بأصحاب المروءات والعطاءات، إلى درجة تخليدهم في الأرض رموزاً، وفي السماء شهداء!